العلاقات العلمية بين الهند والسند والبنجاب وبلاد الحجاز في العصر المملوكي (648- 922هـ/1250- 1517م)

د. يوسف بن نصرة الله محمد
جامعة طيبة
المدينة المنورة 1442هـ

المقدمة:

يعد التاريخ الفكري والعلمي لأي أمة من الأمم عنوان مجدها وعزتها وقوتها، وهذا ما اهتمت به دولة سلاطين المماليك في مصر والشام، فقد شجع سلاطين المماليك العلم والعلماء وأوقفوا عليه الأوقاف واحترموا العلماء، وأنفقوا الأموال في بناء المدارس والزوايا والمساجد والأربطة التي حوت كثيراً من العلماء، والأدباء، والفقهاء، وعلوم الطبيعة، والفلك، والحساب، وقلّدهم في ذلك كل حكام الدول المعاصرة لهم، وخاصة في شبه القارة الهندية التي فتحها المسلمون مبكرًا، وتوالى حكم الدول الإسلامية عليها ودخول الهنود في الإسلام، فأصبحت بلاد الهند مشحونة بالعلماء والفقهاء والمحدثين الذين لقوا تشجيعًا من ملوكهم وسلاطينهم وكانوا هم أيضاً علماء، فرحلوا في طلب العلم وطافوا البلدان، يعلّمون ويتعلمون، ومنها بلاد الحجاز التي شهدت العديد من علماء الهند وملوكهم الذين أقاموا فيها المدارس والأربطة والزوايا حسبة لله تعالى وامتثالاً لقول النبي ﷺ: **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولداً صالح يدعو له)**[1].

وساعد على ذلك وحدة العالم الإسلامي، وعدم وجود حدود بين دوله، ولا جوازات سفر ولا تأشيرات إلى جانب قوة وسيطرة دولة المماليك على الطرق البرية والبحرية التي كانت تسهّل نقل العلماء والأدباء والطلاب.

ومن هنا تأتي أهمية البحث الذي يهدف إلى إبراز دور العلماء وملوك الهند والسند، والبنجاب في ازدهار الحركة العلمية في بلاد الحجاز خلال العصر المملوكي.

---

[1] صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر من السنن، حديث رقم: 3088، ص1631.

واتبع الباحث منهج التاريخ السردي الوصفي التحليلي حيث سرد ووصف الأحداث وتحليلها من خلال ما توفر من مصادر ومراجع.

الفتح الإسلامي لبلاد الهند والسند والبنجاب وانتشار الإسلام فيها:

اتجهت أنظار المسلمين إلى فتح بلاد السند[2] والهند والبنجاب في عصر الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك[3] 86 – 96هـ/ 705– 715م، إذ وجه والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الذي وجه ابن أخيه الشاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره محمد بن القاسم الثقفي لفتحها[4]، وقد زوّده الحجاج بكل ما يحتاج إليه من العتاد والأسلحة والجنود[5] فتم فتح إقليمي السند والبنجاب والقضاء على مملكة الراجيوات والملك داهر[6] الذي كان يشكل مشكلة كبيرة بالنسبة إلى الفاتحين المسلمين[7].

وتم فتح الدبيل[8]، والملتان[9] التي تسمى فرج الذهب، وبيت الذهب؛ لكثرة ما أخذ المسلمون منها من الذهب حين فتحت[10]، كما فتحت لاهور مقر الملك داهر ومكران[11]،

---

(2) السند: بكسر أوله، وسكون ثانية، بلاد بين الهند وكرمان وسجستان وقصبتها المنصورة ومن مدنها. دبيل وهي على ضفة نهر السند، والنسبة إليها سندي واسمها القديم سند هو، وسندا، وسميت بنجاب أي المياه الخمسة حيث تجري أنهار خمسة متفرعة من نهر السند العظيم، وهناك رواية تنسبها إلى سند بن حام بن نوح. ياقوت الحموي: معجم البلدان ص169.

(3) الوليد بن عبد الملك بن مروان: من أشهر خلفاء بني أمية استتب له الأمر بعد وفاة والده، وكان من أشهر خلفاء الدولة في الفتوحات والعمران. نبيه ثاقل: دولة بني أمية ص96- 103.

(4) البلاذري: فتوح البلدان ص135.

(5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ص118.

(5) الملك داهر: من أقوى ملوك السند ورث مملكة الراجبوت إحدى ممالك السند عن والده، وهو الذي واجه محمد بن القاسم الثقفي في حروبه، وقتله محمد بن القاسم في إحدى المعارك. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. 189/3.

(6) عبد المنعم النمر: المسلمون في الهند ص129.

(7) الدبيل: إحدى مدن السند، والنسبة إليها الدبيلي. ياقوت الحموي: معجم البلدان 439/2.

(8) الملتان: بضم أوله وسكون ثانيه بلد في بلاد الهند يسمى فرج بيت الذهب، به صنم تعظمه الهند وتحج إليه من أقصى بقاعها. ياقوت: معجم البلدان 221/5.

(10) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر 218/1.

(11) مكران: بالضم ثم السكوان، وهي جمع مكر من بلاد السند. ياقوت: معجم البلدان 180/5؛ محمد سعيد قاسم: معجم البلدان الهندية والسندية ص33.

وقندهار[12]، وقندابيل[13]، وهي ممبار الهند، والرور[14] التي تقع على نهر مهران[15]، ويؤكد البلاذري ذلك بقوله: "وسار محمد بن القاسم يريد الرور وبغرور فتلقاه أهلها فسألوه الأمان لهم فأعطاهم إياه، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ودلالتهم، وصالحهم على ذلك"[16].

كما فتح الباميان ذات القلعة الحصينة والمملكة الواسعة وبها بيت ذهب منقوش عليه كل طير خلقه الله على وجه الأرض يأتيه الزوار، ومنه صنمان عظيمان نقرا في الجبل من أسفله إلى أعلاه[17]. وبعد الفتح خرج من هذه المدينة آلاف العلماء المسلمين، وهي اليوم في

---

(12) قندهار: بضم القاف وسكون النون من بلاد السند مشهورة في الفتوح، فتحت عنوة. ياقوت: معجم البلدان 324/4.

(13) قندابيل: بالفتح ثم السكون مدينة في السند وهي قصبة لولاية يقال لها الندهة. ياقوت: معجم البلدان 402/5.

(14) الرور: أو الور بلدة قديمة في السند على نهر مهران كانت دارًا لملوك السند وكانت حدودها إلى كشمير. ياقوت: معجم البلدان 391/4؛ محمد سعيد قاسم: معجم البلدان الهندية والسندية ص79.

(15) نهر مهران: أحد الأنهار المتفرعة من نهر السند الكبير نسب إلى أحد قادة الفتح العربي. محمد سعيد قاسم: معجم البلدان الهندية والسندية ص191.

(16) فتوح البلدان: ص110؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح ص881.

(17) ابن حوقل: صورة الأرض ص177.

بلاد أفغانستان[18]. وفتحت البدهة[19]، وبيرون[20]، وبليان، ودهلي[21]، وسرنديب (سيلان)[22]، وقصدار[23].

وفتحت أيضاً قنوج[24]، وقيقان[25]، وكش[26]، وكشمير (قشمير)، ولاهور[27]، ومليبار[28] وغيرها[29].

---

[18] المباركفوري: رجال السند والهند القرن السابع ص20.

[19] البدهة: أرض واسعة ما بين حدود توران ومكران والملتان وهي في غرب نهر مهران وأهلها بادية أصحاب أبل. ياقوت الحموي: معجم البلدان 371/1.

[20] بيرون: مدينة من أعمال الدبيل، وهي فرضة بلاد السند وهي اليوم مدينة حيدر آباد. المباركفوري: رجال الهند والسند ص12.

[21] دهلي: مدينة ذات شأن عظيم واسعة كبيرة فتحها شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغوري وأقطعها لمملوكه قطب الدين بن أيبك. ياقوت: معجم البلدان 171/4؛ محمد سعيد قاسم: معجم البلدان الهندية والسندية ص151.

[22] سرنديب: أو سيلان، جزيرة عظيمة في بحر الهند، ويقال إن بها الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام ويقال له راهون. ياقوت: معجم البلدان 441/4؛ محمد سعيد قاسم: معجم البلدان الهندية والسندية ص114.

[23] قصدار: ناحية مشهورة في الهند قرب غزنة من بلاد الهند. ياقوت: معجم البلدان 353/4؛ محمد سعيد قاسم: معجم البلدان الهندية والسندية ص116.

[24] قنوج: موضع في بلاد الهند تقع على نهر كنك وهي من أعمال الملتان. ياقوت: معجم البلدان 261/3؛ البكري: معجم ما استعجم ص88.

[25] قيقان: معرب كيكان، بلدة وناحية مشهورة بالسند فتحها الحارث بن مرة العبدي. ياقوت: معجم البلدان 511/4.

[26] كش: مدينة من مدن سمرقند وأيضًا ناحية بأرض الهند غزاها عباد بن زياد، والنسبة إليها كشي. ياقوت: معجم البلدان 525/4؛ البكري: معجم ما استعجم ص141.

[27] لاهور: مدينة عظيمة في بلاد الهند وهي ولاية من ولاياتها جنوبي كشمير، علي نهر راوي الذي يصب في نهر الهند. المباركفوري: رجال الهند والسند ص13؛ محمد سعيد قاسم: معجم البلدان الهندية والسندية ص118.

[28] مليبارأو منيبار: إقليم كبير عظيم يشتمل على مدن كثيرة ويقع في وسط بلاد الهند، ويجلب منه الفلفل إلى جميع الدنيا. المباركفوري: رجال الهند والسند ص14.

[29] للمزيد حول فتوحات المسلمين في الهند. انظر البلاذري: فتوح البلدان ص201-205.

ولما أفلت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية (132هـ/ 749م) حافظ خلفاؤها على بلاد الهند الإسلامية وعملوا على توسيع رقعتها، ففي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/ 753-774م) دخلت كشمير كاملة في حوزة المسلمين، وأكد المسلمون سيطرتهم على الملتان[30] وتتابعت غزوات المسلمين في بلاد الهند، ففي عهد الخليفة المهدي (158- 169هـ/ 777- 785م) استولى المسلمون على مدينة بارِيد عام 159هـ/770م وأحرقوا تمثال بوذا. واستمرت فتوحاتهم في بلاد الهند في عصر حتى المعتصم (218-227هـ/ 833- 842م) حيث سيطر المسلمون على البلاد الواقعة بين كابل وكشمير والملتان[31].

وكان لضعف الدولة العباسية في عصرها الثاني أثره في استقلال حكام السند عنها، فقامت فيها إمارتان مستقلتان أحداهما في الجنوب، وعاصمتها المنصورة، وإمارة في الشمال، وعاصمتها الملتان، واستقرت أمورها وازدهرت فيها العلوم والحضارة وأوى إليها الفارون من بطش الخلافة العباسية[32].

وأهمل الخلفاء العباسيون في العصر الثاني شأن إقليم السند، حتى أن الخليفة المعتمد[33] أقطعها ليعقوب بن الليث الصفار[34] ت265هـ/ 878م مع بعض البلدان المجاورة حتى لا يتطلع إلى السيطرة على العراق[35]. وفي عصر الدولة الغرنوية (350-583هـ/ 961-1187م) بدأت فتوحات الهند من جديد حيث كانت الرغبة في الجهاد ورفع راية الإسلام من أقوى الأسباب التي دفعت سلاطين الدولة الغزنوية إلى القيام بفتوحاتهم، فمن الثابت أن السلطان

---

[30] البلاذري: فتوح البلدان ص249.

[31] البلاذري: فتوح البلدان ص250.

[32] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي 290/2.

[33] المعتمد على الله العباسي: هو أبو العباس ابن المتوكل على الله وأمه رقية اسمها فتيان حكم 256-284هـ/870-892م. محمد عبد العظيم أبو النصر: الدولة العباسية ص187-199.

[34] يعقوب بن الليث الصفار: مؤسس الدولة الصفارية في خراسان وكانت علاقته سيئة بالخلافة العباسية. للمزيد انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء 146/10.

[35] محمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في الهند ص305.

محمود الغزنوي كان مسلمًا قوي العقيدة تواقًا إلى نشر الإسلام[36] فلما فرغ السلطان من إقرار الأمور في خراسان وسجستان رأى أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه على المسلمين، وسار بعشرة آلاف مقاتل وحارب جبيال الملك الهندي عند بيشاور وقضى عليه سنة 392هـ/ 1002م[37].

وما أن أستتب له الأمر في بيشاور قصد الملتان وهو مركز الحج الأكبر للهنود وقد وصف الأصطخري صنم البراهمة في الملتان بقوله: "إن أهل الهند يعظمون هذا الصنم ويحجون إليه من أقصى بلدان الهند، ويتقربون إليه كل سنة بمال عظيم، فأستولى عليه السلطان محمود وهدمه وغنم الكثير من الذهب والمال"[38]. وتتابعت انتصارات وفتوحات السلطان محمود حتى بلغت عشرين غزوة وحطم صنم سومنات، واستولى على ما فيه، وكان من أخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكي في مواجهة المسلمين وذلك في سنة 416هـ/ 1025م[39].

وبعد وفاة السلطان محمود 421هـ/ 1030م واصل ابنه مسعود الغزنوي سياسة أبيه في المحافظة على فتوحات الدولة الغزنوية في الهند وضم المزيد من الأراضي الهندية إلى الدولة الغزنوية[40]. وواصل سلاطين الدولة الغزنوية الحفاظ على فتوحاتهم في بلاد الهند، ونتج عن ذلك انتشار الإسلام بين الهنود ودخولهم في الإسلام طواعية على المذهب السني، كما ساهم التجار المسلمين بدور كبير في ذلك قبل أن يصل الغزنويون إلى بلاد الهند، وبنوا المساجد ولكن إقبال الهنود على الإسلام زاد في عهد السلطان محمود الغزنوي[41]. وانتشر الإسلام بين الهنود عن طريق الفقهاء والوعاظ ودروسهم، والعلماء المتصوفة ورحلاتهم، وعرفوا اللغة الفارسية، ووجد المتصوفة من الفرس والترك في بلاد الهند الحماية والإقامة وأثروا في

---

[36] حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ص260.

[37] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 524/7.

[38] المسالك والمالك: ص76.

[39] العتبي: تاريخ اليميني ص 307؛ عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام في جنوب آسيا في العصر التركي ص137.

[40] عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الاسلام في جنوب آسيا ص141.

[41] أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص314.

اللغة، فاللغة الأوردية خليط من الهندية والعربية والفارسية والتركية، وقد مهد ذلك لقيام دول هندية إسلامية كالدولة الغورية ودولة المماليك[42].

[42] محمد عبد العظيم أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب ص312.

اهتمام حكام الهند والسند بالعلم والعلماء وارتباطهم بالحرمين الشريفين:

نظرًا إلى اهتمام حكام الدول الإسلامية في بلاد الهند بالعلم وتشجيع العلماء فإنها أصبحت مشحونة بالمؤسسات التعليمية كالمساجد، والمدارس، والكتاتيب، والأربطة التي خرجّت الآلاف من العلماء وشهد بذلك العلماء والمؤرخون والرحالة، ويؤكد ياقوت الحموى ذلك بقوله: "في السند مذاهب أهلها الغالب عليها مذهب أبي حنيفة"، وقال في الدبيل: "قد نسب إليها قوم من الرواة"، وقال في الباميان: "خرج من هذه المدينة جماعة من أجل العلم"[43].

ويصف القلقشندي أهل لاهور بقوله: "هي مدينة كثيرة الخير خرج منها جماعة من أهل العلم"[44]. وأما ابن حوقل فقد وصفها بقوله: "في أهلها رغبة في القرآن وعلمه والأخذ بالمقارئ السبعة والفقه وطلبة العلم والأدب" [45]، ووصف المقدسي أهل السند بقوله: "في السند أكثرهم أهل حديث وأهلها شيعة يهوعلون أي يقولون حي على خير العمل في الآذان، ويثنون في الإقامة، ولا تخلو بلادهم من فقهاء أحناف" [46].

وكانت بلاد الهند إحدى بلدان الإسلام التي كانت لها علاقة مستمرة بالدول الإسلامية المتعاقبة، وبما أن دولة المماليك كانت أقوى الدول الإسلامية في عصرها فقد فرضوا سيطرتهم على الحرمين الشريفين بطبيعة الحال، وكان لابد لبعض العلماء الهنود من الحج والعمرة كغيرهم من المسلمين فوفدوا إلى الحرمين الشريفين، وجاوروهم وأقاموا في مكة والمدينة.

ارتبطت بلاد الهند منذ بداية الفتح العربي الإسلامي، وانتشار الإسلام فيها ودخول أهلها فيه، بعلاقات وثيقة بالحرمين الشريفين وأخذت هذه العلاقات تنمو وتزدهر، حتى بلغت ذروتها زمن عصر السلاطين المماليك (648-923هـ/ 1249-1517م) وإشرافهم على الحرمين الشريفين حيث عاصرت الدولة المملوكية عدة أسر مسلمة حكمت الهند وهي: الدولة

---

[43] معجم البلدان: 5/3.

[44] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: 911/2.

[45] صورة الأرض: ص178.

[46] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ص231.

الغورية[47] (603- 689هـ/ 1206- 1290م) والخليجيون[48] (686-720هـ/ 1290-1320م) وأل تغلق[49] (720- 799هـ/ 1320- 1396م) والمغول الذين احتلوا الهند (799هـ/ 1396م)[50] وحكموها لمدة ثلاث قرون وفي أيامهم استقلت الإمارات عن حكمهم في دهلي حاضرة المسلمين بالهند وأبرز هذه الإمارات والولايات المنفصلة عن الحكم المغولي، إمارة البنغال والكجرات والدكن وغيرها[51]، وقد أرتبطت هذه الإمارات المستقلة بالعلاقات العلمية مع بلاد الحجاز وغيرها، كما أن سلاطين هذه الإمارات المستقلة كانوا ممن ساهموا في إثراء الحياة الفكرية في بلاد الحرمين الشريفين[52].

وكانت مساهمة العلماء الهنود في النهضة العلمية في الحرمين الشريفين قد بدأت مبكرًا قبل العصر المملوكي بطبيعة الحال، فقد وفدوا إلى مكة والمدينة ومنهم أحمد بن محمد أبو الفوارس، السندي البصري ت 331هـ/ 943م[53] وإبراهيم بن محمد الدبيلي، المكي المحدث ت 391هـ/ 1001م، وكان سلاطين الدول الإسلامية في الهند يوقفون الأوقاف على الحرمين الشريفين ومنهم الملك العادل بهاء الدين محمد ملك الغور والهند ت600هـ/ 1202م[54] الذي

---

(47) الدولة الغورية: تنسب إلى بلاد الغور من الهند، أسسها معز الدين بن سام المعروف باسم محمد الغوري، الذي جاب بلاد الهند غازيًا واستولى على قلعة فيروز في بلاد الهند، وهي أول دولة هندية مستقلة حكمت الهند. الساداتي: تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية ص207.

(48) الخلجيون: يرجع نسبهم إلى الترك وإن كان البعض ينسبهم إلى المغول، ومن أشهر حكامها جلال الدين فيروز شاه وابنه علاء اللذين عزما على الجهاد والفتوح ونشر الإسلام. عبد المنعم النمر: تاريخ المسلمين في الهند ص228.

(49) آل تغلق: هم أتراك من قوم جغتاي من البنجاب، ارتقى غازي أول ملوكهم عرش دهلي ودعم مملكته وأعاد هيبتها، وخلفه ابنه فخر الدين وسمي بمحمد بن تغلق الذي كان أكثر حكامها اهتمامًا بالعلم. الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية 150/1-158.

(50) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان 397/2، 819/3.

(51) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 339/3.

(52) السيوطي: بغية الوعاة 119/3.

(53) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 933/1.

(54) الملك بهاء الدين بن محمد الغوري: ثاني ملوك الدولة الغورية الأقوياء، حارب المغول وانتصر عليهم. ابن خلكان: وفيات الأعيان 141/1؛ الذهبي: ميزان الاعتدال في معرفة الرجال 713/3.

أوقف رباط غنائم في مكة المكرمة على الصوفية[55]، ولم يقف التأثير العلمي للهنود عند حدود الحرمين الشريفين، وإنما تعدى ذلك إلى باقي المدن والبلاد الإسلامية الأخرى كمصر والشام وغيرهما، لكنه ظهر واضحًا في الحرمين الشريفين بسبب مكانتهم العلمية والدينية وارتباطهم بمكة المكرمة وبشعيرة الحج، والعمرة، ومجاورة البيت العتيق، الأمر الذي أدى إلى تدفق علماء الهند إليها بأعداد كبيرة، مساهمة في الحياة الثقافية والعلمية، فكان منهم الفقهاء والمحدثون والقراء، والقضاء والأئمة، وعلماء القراءات واللغة، والمؤرخون والنساخ والخطباء، مثلهم مثل غيرهم من البلدان الإسلامية المختلفة[56].

مشاركة حكام الهند في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين:

شارك حكام الهند في ازدهار الحياة التعليمية في الحرمين الشريفين ببناء الكتاتيب[57] والمدارس والزوايا[58] والأربطة[59] والوقف في الحرمين الشريفين، كما شارك ملوك الهند أيضاً مشاركة فعالة في نهضة الحركة العلمية في الحرمين الشريفين، وكانوا هم أنفسهم من المثقفين بالعلم القارئين له، النابغين فيه، ومن ثم أدركوا أهمية تنشيط الحياة العلمية وتوفير احتياجاتها ومقوماتها الأساسية، وكان من أبرزهم من المشتغلين بالعلم من الملوك الهنود، أعظم شاه

---

(55) ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى 57/2.

(56) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس 130/1.

(57) الكتاتيب: جمع كتاب أو مكتب، وهي المرحلة الأولى التي يتلقى فيها الأطفال القراءة والكتابة إلى جانب حفظ القرآن الكريم. أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام ص78.

(58) الزوايا: جمع زاوية وهي لفظ عربي معناه الركن من الدار، أو المكان وهو عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها، ويعقدون فيها حلقات الدراسة في علوم الدين والتي كانت تعقدها الصوفية. عبدالله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ ص162.

(59) الأربطة: جمعها رباط، وأصله ما يربط به الخيل، عملاً بقوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) سورة الأنفال: آية 5. ثم قيل أن الرباط مكان إقامة الحامية المرابطة عن ثغور العدو، للدفاع والجهاد ومع مرور الزمن تغيرت وظيفة الرباط ليصبح مكاناً للزهد والتقشف والتصوف يرتادها الصوفية، كما أصبحت تؤدي خدمات اجتماعية وثقافية. للمزيد راجع الشهرزوري: عوارف المعارف ص183- 192؛ عبدالله عبد الدايم: التربية ص63.

غياث الدين بن إسكندر شاه شمس ملك الهند في بنجالة[60] ت 814/ 1411م، وكان له حظ وفير في العلم والفهم والخير ومحمد بن منذر ملك بنجالة ت 837هـ/ 1433م [61].

وكان ملوك كليرجة[62] من بلاد الهند[63] يقرأون العلم على يد العلماء ومنهم علاء الدين محمد البخاري الهندي الذي اقرأ بعض ملوك الهند العلم[64]، وكان بعضهم يوفد أولاده يتعلم العلم في الحرمين الشريفين من العلماء العرب وغيرهم[65].

المدارس العلمية الهندية والسندية في مكة والمدينة:

المدرسة البنغالية الغيثائية:

بنى ملوك الهند وسلاطينها المسلمين الكتاتيب، والمدارس، والزوايا، والأربطة ومنها كتَّاب البنجاب في مكة المكرمة، وكتَّاب الغور وبني تغلق الذين ابتنوا الكثير من الكتاتيب وأوقفوا عليها الأوقاف[66]، كما أنشأوا العديد من المدارس منها المدرسة البنجالية الغياثية في مكة المكرمة والتي بناها صاحب بنجالة الملك أعظم شاه غياث الدين بن إسكندر حيث أرسل في هذه السنة هدية كبيرة لصاحب مكة مع رسوله ياقوت الغياثي ومعه رسالة تتضمن نية ملك الهند في بناء مدرسة في مكة المكرمة، وشراء وقف لها، وقد اشترى ياقوت الغياثي دارين متلاصقتين مجاورتين للمسجد الحرام لبناء المدرسة في مكانها، واشترى أيضاً من أمير مكة

---

(60) بنجالة: بفتح أوله وثانية مدينة من كبريات بلاد السند اتخذها بعض الحكام مقرًا لهم. ياقوت الحموى: معجم البلدان 499/1.

(61) السخاوي: الضوء اللامع 313/2؛ عبد المنعم النمر: المسلمون في الهند ص319.

(62) كليرجة: من أعظم مدن الهند بين عمان والصين وفي وسطها مدينة بومباي. ياقوت: معجم البلدان 553/3.

(64) السخاوي: الضوء اللامع 273/3.

(65) المباركفوري: رجال السند والهند ص21.

(66) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ص4، 151.

حسن بن عجلان[67] حديقتين لتكونا وقفاً على المدرسة، باثنى عشرة مثقال من الذهب، وقد انتهى من العمل في بناء هذه المدرسة في جمادى الأولى سنة 814هـ/ 1411م[68].

وبطبيعة الحال درّس الفقه على المذاهب الأربعة في هذه المدرسة، وكان يدرّس فيها القضاة الأربعة في مكة المكرمة وهم: القاضي الشافعي جمال الدين محسن بن عبدالله بن ظهيرة[69] والقاضي الحنفي شهاب الدين أحمد بن الضياء المهدي[70] والقاضي المالكي تقي الدين محمد ابن أحمد الحسني الفاسي[71] والقاضي الحنفي سراج الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح الفاسي[72]. وأوقف السلاطين الغوريون وبني تغلق والمماليك الأوقاف عليها، وقسمت المدرسة إلى خمسة أقسام: قسم للمدرسين والقضاة الأربعة بالسوية بينهم، وثلاثة أقسام للطلبة وهم ستون طالبًا، عشرة من الشافعية، وعشرون من الأحناف، وعشرة من المالكية ومثلهم من الحنابلة بالسوية بينهم.[73]

والقسم الخامس قسّم إلى ثلاثة أجزاء: اثنان لسكّان المدرسة وهم عشرة رجال، وجزء لمصالحها من العمارة، والزيت، والمياه، وغير ذلك، وأوقف أيضاً على مصالح المدرسة داراً مقابلة اشتريت بخمسمائة دينارًا[74]. ومن أبرز من درّس في هذه المدرسة بمكة المكرمة، عبد القادر بن محمد الفاسي الملكي الحنبلي ت827هـ/ 1424م[75]، ومحمد الجلال أبو

---

(67) الأمير حسن بن عجلان الحسنى القرشي: تولى إمارة مكة سنه 779ه /1396م في العصر المملوكي بالإضافة إلى نائب السلطنة في جميع الحجاز بعد وفاة أخيه الشريف أحمد وأنجب خمسة أبناء، واستمرت إمارته عليها 30 سنة توفي سنة 829 ه/1425م. ابن خلكان: وفيات الأعيان 324/3.

(68) ابن تغري: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي 391/1.

(69) السيكي: طبقات الشافعية الكبرى 261/3.

(70) السخاوي: الضوء اللامع 183/3.

(71) محمد محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص589.

(72) المباركفوري: رجال الهند والسند ص 48.

(73) ابن فهد: إتحاف الورى ص486.

(74) السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام 1075/2.

(75) عبد القادر محمد الفاسي: عالم ومؤسس الزاوية الشاذلية بالقصر الكبير وصف بأنه شمس الأئمة وركن الإسلام وتاج العارفين. للمزيد انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان 119/4؛ الذهبي: سير إعلام النبلاء819/15.

السعادات[76] ومن طلابها إسماعيل اللاهوري، وإسلام الديبلي، وأبو عطاء السندي والذين لعبوا دورًا في ازدهار الحياة العلمية في الحرم المكي الشريف[77]. كما بنى الملك نفسه غياث الدين أبو المظفر صاحب بنجالة بالهند، مدرسة في المدينة المنورة حملت نفس الاسم (المدرسة البنغالية الغياثية) والذي بعث وزيره حاجي إقبال بصدقة لأهل المدينة المنورة وهدية لأميرها جماز بن منصور آل مهنا[78] والي المدينة، وأمر وزيره بعمارة مدرسة الحاكم الهندي في المدينة المنورة وأوقف لها[79] وكانت عند الحصن العتيق بالقرب من باب السلام، وكان هذا الحصن منزلاً لأمراء المدينة، ثم انتقل إلى الحاكم غياث الدين عندما اشتراه حيث أقيمت المدرسة البنجالية التي كان يدرس فيها الفقه والتفسير والقرآن والتوحيد والنحو واللغة وغيرها من العلوم خاصة السيرة النبوية الشريفة[80].

المدرسة الكلبرجية في مكة المكرمة:

بنيت المدرسة الكلبرجية سنة 830هـ/ 1426م في مكان دار أمير مكة الشريف بركات بن حسن الحسني عند باب الصفا أحد أبواب المسجد الحرام وبأمر من سلطان كلبرجه الهندي شهاب الدين بن المغازي أحمد شاه الغوري[81] والتي استمر العمل فيها حتى 831هـ/ 1427م بدليل قول ابن فهد في هذه السنة: "وفيها شرع الهنود في عمارة المدرسة الكلبرجية، واستمروا في عمارتها طول السنة وأوقفت عليها الأوقاف وولي الشيخ علاء الدين البخاري الهندي

---

(76) المباكفوري: رجال الهند والسند ص72.

(77) الكتبي: فوات الوفيات 589/5.

(78) جماز بن منصور بن شيحا آل مهنا الحسيني: أحد أمراء آل مهنا، ولد ونشأ في أسرة تتناوب إمارة المدينة المنورة وتتنافس عليها أحياناً وتولى إمارتها في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. ابن خلكان: وفيات الأعيان 293/2.

(79) السمهودي: وفاء الوفاء، بأخبار دار المصطفى 703/1.

(80) السخاوي: الضوء اللامع 349/6.

(81) السلطان شهاب الدين بن المغازي الغوري: كان يعرف باسم شهاب الدين محمد بن سالم وكان يحلم بأن تكون بلاد الهند كلها مسلمة وأن يستكمل دور السلطان محمود الغزنوي في فتوحاتها، مؤسس الدولة الغورية ولقب بأبي المظفر شهاب الدين، جاهد وانتصر في عدة جبهات اغتاله الشعبة الباطنية وهو يصلي، وكلبرجة تقع في إقليم الدكن. ابن الأثير: الكامل 213/15؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 129/15.

التدريس فيها والإشراف عليها، ودرّس فيها الفقه على المذاهب الأربعة"[82]. وكان من أشهر مدرسيها الشيخ جلال الدين عبد الواحد المرشدي[83].

ومن أشهر علماء هذه المدرسة عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد الملكي الحنفي ت 838هـ/ 1434م[84]، كما أن أحد علماء بيت المقدس وهو ناصر الدين المقدسي ت 840هـ/ 1436م نزل مكة وأدّب الأطفال بها مدة، وناب في المدرسة في إقراء عشرة من القراء كل يوم، وكان بعض الهنود قد نزلوا مكة وسمعوا بها العلم وتفقهوا ودرّسوا فيها، وسافر مكيون إلى بلاد الهند ليعلموا فيها وقد تخرجوا من هذه المدرسة، وعلى أي حال فإن ملك كلبرجة الهندي كان سخيًا كريمًا إذ أرسل إلى طلبة وعلماء هذه المدرسة المال والهدايا، ومن ذلك إرساله بالهدايا إلى الفقيه علاء الدين البخاري ليفرقها على الطلبة الملازمين له وغيرهم، وكانت له هدايا وعطايا للعلماء، كما بنى ملك بنجالة محمد بن قنر جلال الدين أبو المظهر ت 837هـ/ 1433م مدرسة عرفت باسم المدرسة البنجالية في مكة المكرمة وكانت مدرسة كبيرة، اشتهر من مدرسيها إبراهيم بن القسم القيقاني المتوفي سنة 851هـ/ 1447م[85].

المدرسة الكلبرجية في المدينة المنورة:

أنشأ سلطان كلبرجية شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه مدرسة في المدينة المنورة عرفت بالمدرسة الكلبرجية سنة 838هـ/ 1434م وبنيت في موضع دار كانت لجعفر بن يحيي البرمكي[86]، وأرسل العديد من القناديل إلى مدرسته وللمسجد النبوي الشريف[87]، ووفر لطلابها ومدرسيها المأكل والمشرب والملبس والمسكن، والأدوات الكتابية والمدرسية، وكان لها مدير، وأساتذة، ومعيدون وخزنه للكتب، ويصرف عليهم من أوقافها[88]، كما اشترى خيامًا وحمامات وخانات ومخازن ومحلات، وجعلها وقفًا عليها، وكان ينفق كل عام ألف وخمسمائة

---

[82] إتحاف الورى: 24/4.

[83] السخاوي: الضوء اللامع 92/5.

[84] السخاوي: الضوء اللامع 23/7.

[85] محمد بن قنر علي قمر الدين: أحد أهم سلاطين وفقهاء بني تغلق. الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية 147/1.

[86] السخاوي: وجيز الكلام 498/2.

[87] الذهبي: سير أعلام النبلاء 383/21.

[88] السمهودي: وفاء الوفاء 1596/1.

دينارًا على الأساتذة والطلاب، حيث كان يعيش فيها المئات من طلاب العلم[89]، كما ألحق بها مكتبة لتعليم الأطفال الأيتام وندب إليهم من يحفظهم القرآن الكريم، وأوقف عليهم أوقافًا كثيرة، ووفر لهم كل ما يحتاجونه من أوراق وأقلام ومحابر وغيرها[90]، مما يدل على اهتمام المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

المدرسة الخلجية في مكة المكرمة:

تعد المدرسة الخلجية من أشهر المدارس، بناها صاحب مندوة في الهند محمود بن مغيث الخلجي[91] عند باب أم هاني، وقرر في مشيخة التدريس والحديث فيها إمام الحرميين الشريفين وإمام الحنفية، كما أوقف عليها الأوقاف والتي كانت من الكثرة التي جعلت أحد القائمين عليها وهو مفتاح الحبشي الكمالي يختلس بعضًا منها فعوقب بعقوبة زائدة حتى توفي877هـ/1482م. ومن أشهر مدرسيها من الهنود ربعي بن إبراهيم بن عليه القيقاني البغدادي وزكريا بن عطيه السنداني ت810هـ/ 1407م، والذي خرج من بلاد السند إلى خوارزم ومنها إلى مكة ودرّس فيها[92].

المدرسة الكنبائية في مكة المكرمة:

بنى ملك كنباية[93] غياث الدين محمد شاه المدرسة الكنبائية سنة 866هـ/1461م في مكة وعيّن عليها الأوقاف والتي كانت غزيرة وكثيرة القيمة، وعيّن فيها المدرسين وأجرى لهم

---

[89] السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدنية الشريفة 161/1.

[90] ابن كثير: البداية والنهاية 169/13.

[91] محمود بن مغيث الخلجي: أحد أمراء الخلجيين على إقليم مندوة الهندي، اشتهر بالصلاح، وبنى العديد من المدارس، وأوقف الكثير من الأوقاف. محمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين ص1، 148.

[92] السبكي: طبقات الشافعية 137/23.

[93] كنباية: مدينة في الهند من مملكة بلهري على خليج من البحر. الحميري: الروض المعطار ص496.

الأعطيات. وخصص مكاناً لدروس التصوف، وآخر للفقراء، وصارت داراً للإيجار مع وجود الوقف كما يذكر ابن فهد[94].

الأربطة الهندية والسندية في مكة والمدينة:

لم يقتصر دور سلاطين وملوك الهند على بناء المدارس في مكة المكرمة والمدينة المنورة فقط، بل شيدوا العديد من الأربطة التى شهدت حركة علمية واسعه، كما ضمت خزائن الكتب التى أوقفها العلماء والحكّام على هذه الاربطة، ومن أبرزها وأشهرها: رباط راشت، ورباط ربيع، ورباط المسورة، ورباط المزي، ورباط الوفق، ورباط الهوري، ورباط الهنود[95]، ورباط سعيد الهندي وهو أحد الفقهاء الهنود الذين درّسوا الفقه على المذهب المالكي، وكان له تلاميذه[96]، ومن أبرز أربطة المدينة المنورة رباط وكالة الجزارين وغيرها، وقد سكن الكثير من الفقهاء والعلماء والمحدثين هذه الأربطة[97].

وساهم حكام الهند في بناء الأربطة في مكة المكرمة حيث بنى صاحب كليرجة أحمد بن شاه، شهاب الدين أبو المغازي بمكة رباطًا كبيرًا وأوقف عليه الأوقاف وجعل فيه خزائن للكتب الموقوفة، وجعلها في خدمة الساكنين فيها، والتي حوت الكتب المشهورة والأسفار البارزة مما يدل على مكانته العلمية[98]، وكان السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس قد أمر محمد بن إسحاق الشيرازي المعروف بغياث الدين الأمير الأيرقوهي بإنشاء رباط في مكة قبالة الصفا، وأوقف عليه الأوقاف، وفي هذا الرباط حجر مكتوب عليه: "إن الواقف شرط أن يسكنه الفقراء والأعاجم المجردون المتقون من الهنود وغيرهم ومن لا سكن له بمكة"[99]. وجعل فيه خزانة كتب كبيرة تحوي أمهات الكتب، وجعل عليها خازنًا للمحافظة على المكتبة من أخطار السرقة والفقدان، والتلف، ويقوم أيضًا بكتابة أسماء المجلدات في جداول، ومقارنتها بالفهرسة الموجودة أو ما يعرف في يومنا هذا – بالجرد– وتتبع المفقود منها، ومن مهام الخازن أيضًا استصلاح

---

(94) إتحاف الورى: 432/4.

(95) السخاوي: الضوء اللامع 289/5.

(96) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين 104/4.

(97) المقريزى: السلوك بمعرفة دول الملوك 319/3.

(98) الفاسي: العقد الثمين 410/1.

(99) السخاوي: الضوء اللامع 257/3، 303.

المستهلك من كتبها، والاهتمام برعايتها ونظافتها من الأتربة، والإمتناع عن إعارة موجوداتها من الكتب حتى تثبت أمانته، بعد تقديمه من الضمانات، ما يؤمن به قيمة ما استعاره من الكتب، وهذه الشروط تعتبر من أفضل الوسائل لحماية خزانة المكتبة من الإتلاف والسرقة[100].

كما أقام الخادم الهندي ريحان أحد خدم المسجد النبوي الشريف رباطان في المدينة، والذي كان مشهورًا بكثرة عمل المعروف والمآثر الحسنة في المدينة المنورة[101].

لغة التعليم في المدارس والأربطة الهندية والسندية:

كانت اللغة العربية هي لغة التدريس لجميع الطلاب في المدارس، والأربطة، الأمر الذي ساعد على بناء وحدة ثقافية متكاملة في العالم الإسلامي كله، ويسّر على الطلاب حرية التنقل في مختلف أنحائه، وأتاح لهم فرصة التلقي عن العلماء وهذا ما عرف بالرحلة في طلب العلم، والتي مارسها طلاب العلم من الهنود[102].

وكان من آداب الدرس الهامة والتي يجب على الطلاب مراعاتها في حلقات الدرس أن لا يمد الطالب رجليه في المجلس ولا يتخطى زملاءه ليحتل مقعًدا بالقرب من أستاذه، ولا يضحك ولا يكلم أحدًا، ودأب بعض الأساتذة على منع طلابهم من تدوين ملاحظاتهم أثناء المحاضرة لأن ذلك قد يؤثر على انتباههم بينما أباحه آخرون وكان من واجب المدرس ألا يميز في المعاملة بين طلابه بل عليه أن يرعاهم جميعًا كأبنائه[103].

وكان أغلب الأساتذة يمتنعون عن القيام أثناء المحاضرة لتحية السلاطين والأمراء والقادة وغيرهم من الشخصيات البارزة إكبارًا منهم للعلم ومكانته، وكانوا حريصين على الجلوس جلسة معتدلة أمام العلماء ولا يتصرفون إلا بما يليق بمقام العالم من الوقار[104].

أشهر علماء الهند والسند في العلوم المختلفة:

---

(100) الفاسي: العقد الثمين 240/8.

(101) السخاوي: الضوء اللامع 191/9.

(102) محمد عبد العظيم أبو النصر: الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني ص56.

(103) السخاوي: التحفة اللطيفة 161/2.

(104) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم والمكانة الاجتماعية لعلمائهم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري ص62.

شهد العالم الإسلامي نهضة علمية كبيرة في العصر المملوكي مما أوجد نوعًا من العلاقات العلمية بين الدول الإسلامية بعضها البعض خاصة بين الهند وبلاد الحجاز، ويدّل على ذلك نبوغ عدد كبير من العلماء الهنود في كافة المجالات الدينية واللغوية والأدبية والفقهية والتجريبية وغيرها، فعلى سبيل المثال كان محمود بن محمد المقرئ[105] بارعًا في النحو والصرف والمنطق والعروض، واعتمد عليه في تدريس هذه العلوم في الهند[106].

وفي المعاني والبيان اشتهر مخدوم بن برهان الدين الهندي الأحمد أبادي وأقرأ الطلبة في بيته الذي جعله مدرسة[107]، ومنهم فخر الدين بن عز الدين السندي اللغوي[108]، وعرف محمد بن التاج الحنفي بالإبداع في علوم البيئة (الفلك) وعلم الكلام[109]، ومنكة الهندي[110] الطبيب المشهور، وفرج أبو روح السندي البصري الذي كان بارعاً في أمور الصيرفة والحساب، فكان الصيارفة لا يولّون أموالهم وبيوت صرفهم إلا إلى السنديين، الذين اشتهروا بالنفاذ في أمور الصيرفة وأحفظ وأمن[111].

ومن المحدثين الهنود في مكة الفضل بن أحمد بن منصور الأصفهاني المنصوري الذي خرج إلى بغداد، وحدث بها ثم رحل إلى مكة، ومنهم مكحول بن عمر بن أبي عبدالله السندي الشامي الإمام المحدث ومنكة أبو القاسم المندي المحدث المقرئ، وغيرهم[112].

وقد تبوأ العلماء الهنود مكانة مرموقة في المشرق الإسلامي واشتهروا بتدريس العلوم الدينية وغيرها، ففي مكة المكرمة كان منهم علماء أجلاء أدّوا دورًا مهما في تدريس الفقه

---

(105) محمود بن محمد المقرئ بن سيد الناس بهاء الدين: أحد علماء القراءات سندي المولد، اهتم به والده، ورحل في طلب العلم وتبحر فيه، ودرس في المسجدين الشريفين في مكة والمدينة. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 371/3.

(106) البغدادي: تاريخ بغداد 219/10.

(107) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم ص62.

(108) السخاوي: الضوء اللامع 15/8.

(109) الضوء اللامع: 222/5.

(110) منكه الهندي: كان عالمًا بصناعة الطب حسن المعالجة، لطيف التدين، فيلسوفًا من جملة المشار إليهم في علوم الهند متقنًا للغة الهنود ولغة الفرس. ابن أبي أصبيعه: عيون الأبناء في طبقات الأطباء ص294.

(111) الضوء اللامع: 15/8.

(112) ابن خلكان: وفيات الأعيان 581/5.

والقراءات والحديث والتوحيد وعلوم اللغة والنحو والأدب للمكيين والوافدين على مكة من الطلاب والحجاج، وبرزت أسرة هندية هي أسرة بني الضياء[113] في هذا المجال، وكان نبوغها في مجال الفقه وأصوله بصفة خاصة، وتعود هذه الأسرة الهندية إلى محمد بن محمد بن سعيد بن عمر بن علي الهندي الحنفي الملقب بضياء الدين ت 780هـ/ 1377م. وكان قد نزل المدينة المنورة أولاً وأقام بها مدة يدرس، ثم سكن مكة المكرمة وتولى تدريس الفقه على المذهب الحنفي وكان عارفًا فاضلاً مميزًا في مذهبه وأصوله متمكنًا من اللغة العربية وأصولها[114].

وقد تتلمذ على يديه العديد من العلماء والمجاورين للحرم الشريف منهم عمر بن محمد أبي بكر الملكي الملقب بالسراج الحنفي[115]، وتوارثت هذه الأسرة تدريس الفقه في مكة، وكان الشيخ ضياء الدين الهندي بن الشهاب بن الضياء أحمد الذي تولى قضاء مكة على المذهب الحنفي[116]، واعتنى بالفقه كثيرًا وكانت له فيه نباهة ودرس، حتى أصبح مفتيا، وكان يدرس الفقه في المسجد الحرام والمدرسة البنجاليه وناب عن عقود الأنكحة العز النويري، ثم في الأحكام عنه أيضًا سنة 803هـ/ 1400م إلى أن استقل بقضاء مكة وهو أول حنفي يستقل بها[117]. ومن بين من تلقى العلم على يديه من المكيين القاضي الشافعي أحمد بن محسن بن الحلال أبو السعادات[118]، وكان يتولى أموال الأيتام والغائبين في مكة، ثم أضيف إليه النظر في الحرم وإلى غير ذلك من الوظائف، وكان لهذه الأسرة دورًا كبيرًا في العلوم الدينية واللغوية والقضاء، فكان منها أحمد بن محمد بن الشهاب المعروف بابن الضياء ت 854هـ/ 1454م الفقيه النحوي الأديب صاحب البيان، ناب في القضاء عن أبيه ثم أخيه ودرّس في المسجد

---

(113) أسرة بني الضياء: من أشهر الأسر العربية في مكة المكرمة في عصر سلاطين المماليك، توارث أبناءها القضاء مدة طويلة. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 341/3.

(114) المباركفوري: رجال السند ص189.

(115) للمزيد أنظر: السخاوي: الضوء اللامع 131/9.

(116) السخاوي: الضوء اللامع 132/9.

(117) ابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر بأبناء العمر 389/3.

(118) القاضى أحمد أبو السعادات: هو الشريف أبو السعادات أحمد بن محسن بن عبد الواحد العباسي حدث عنه ابن عساكر وابن الجوزي. ابن خلكان: وفيات الأعيان 199/1.

الحرام وكانت له حلقة مشهورة يفقّه فيها الطلاب، ودرّس الفقه والبيان والأعراب واللغة والنحو[119]. وممن رحلوا إلى مكة المكرمة من العلماء الهنود الشيخ المحدث أبو نصر عبد الرحمن بن علي السندي التاجر، طاف الهند ثم خراسان ثم العراق ودخل مكة وقرأ وعلّم الحديث في المدارس البنجالية[120].

ومن أشهر القراء الهنود الذين علّموا المكيين ومجاوري الحرم الشريف أبو عبدالله محمد بن علي السنداني وهو شيخ دبيل العارف بالقراءات ت 849هـ/ 1457م[121]. كما نبغ منهم في علم التفسير والقراءات أبو المظفر أحمد ابن إسماعيل القصداري نسبة إلى قصدار الهندية ت 871هـ/ 1478م وصنف تفسيره المسمى (تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم)[122].

وبما أن علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة وأنواع الفنون النافعة وهو من مصادر التشريع الإسلامي فقد نالت دراسته الكثير من الرعاية والاهتمام وكان الراغبون في دراسته ينتقلون في البلاد الإسلامية للسماع من كبار المحدثين الذين اشتهروا بالدقة والتحقيق[123]. وقد نال علم الحديث حظًا وافرًا من علماء الهند، كما عنى السلاطين والأمراء بهذا العلم، فأتاحوا لهم حرية السفر لسماع الحديث وروايته حيث اعتمد علماء الحديث اعتمادًا كبيرًا على الرحلة في طلب الحديث ولقيا الشيوخ، وهناك مئات من المحدثين الهنود الذين يفدون إلى مكة المكرمة منهم: أبو محمد عبدالله عطاء الله السندي المحدث الحافظ، أحد الحفاظ المشهورين الرحالين سمع الحديث بدلهي وهراة وغزنة ورحل إلى مكة المكرمة ومكث فيها وجاور الحرم الشريف وكانت له مجالاته العلمية[124]، ومنهم أبو محمد أبو الفتح نصر بن إبراهيم القنوجي ت 821هـ/ 1418م وله مصنفات في الحديث ومنها (المسند في الحديث) في ثلاث مجلدات[125].

---

(119) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي 182/2.

(120) الفاسي: العقد الثمين 198/1.

(121) الفاسي: العقد الثمين 291/2.

(122) المباركفوري: رجال السند والهند ص401.

(123) السبكي: طبقات الشافعية 351/5.

(124) السخاوي: الضوء اللامع 98/9.

(125) ابن الصلاح: مقدمة بن الصلاح ص3.

العلماء الهنود والسنديون ذو الأصول العربية ودورهم العلمي:

يلاحظ المتتبع للعلاقات العلمية بين الهند وبلاد الحجاز في العصر المملوكي، وغيرها من البلاد الإسلامية، كثرة العلماء الهنود ذوي الأصول العربية والذين كانت لهم مساهمتهم في إثراء الحركة الثقافية، فبعد استقرار العرب المسلمين في الهند والسند والبنجاب بعد الإسلام، وهجرة القبائل العربية إليها نبغ العديد منهم في مختلف العلوم ومنهم: الشيخ يوسف بن أحمد الكجراتي الحسيني من الأفاضل المشهورين في عصره، وكان قد رحل إلى العراق ومنها إلى مكة ت 889هـ/ 1484م وجاور الحرمين وكان فقيهًا له عدة مؤلفات منها كتاب: الغنيمة في أصول الفقه وطبقات الفقهاء والمحيط في شرح الوسيط[126]، ومنهم الشيخ يوسف بن عبدالله التميمي الأنصاري الأكبر آبادي، أحد رجال العلم والطريقة، درّس في المسجد الحرام ثم المسجد النبوي وكانت له مؤلفات مشهورة في الحديث والفقه والتوحيد وكان صادقًا عفيفًا، مات في أواخر شوال 911هـ/ 1505م[127].

ومن العلماء الهنود ذوي الأصول العربية والذين درّسوا في المسجد النبوي الشريف الشيخ العالم الصالح فريد الدين بن قطب الدين بن خليل العمري النبارسي، ولد بقرية خانقاه، وسافر للعلم إلى نبارس وهو من ذرية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رحل إلى المدينة المنورة ودرّس في المسجد النبوي ومسجد قباء، وعاد إلى بلاده فغرق في ماء نهر كنك في الرابع عشر من شوال سنة 906هـ/1500م[128]، ومنهم: الفقيه والمحدث وعالم الفرائض والقاضي ضياء الدين بن سليمان بن سلوني العثماني والنيوتني الأردي، والذي يعد من فحول العلماء، وهو من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه[129]، سافر إلى كجرات ثم إلى الحرمين الشريفين فحج ودرّس ونشر العلوم والمعارف[130]. وأما الشيخ الصالح الفقيه كبير الدين بن إسماعيل بن محمود الحسيني النجار ثم الملتاني، أحد المشايخ المشهورين بأرض الهند، رحل إلى بغداد ومنها إلى المدينة ثم مكة وأخذ

---

(126) الفاسي: العقد الثمين 183/2.

(127) ابن تغري بردي: المنهل الصافي 381/3.

(128) نهر كنك: أو ما يعرف اليوم بنهر الغانج أحد أكبر أنهار شبه القارة الهندية ينتهي في بنجلادش يبلغ طوله 2510كم، وينبع من جبال الهملايا تبلغ مساحة حوضه حوالي 957.00كم^2. محمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين ص5.

(129) رحمان علي صاحب: تذكرة علماء السند ص299.

(130) يونس الشيخ السامراني: علماء العرب في شبه القارة الهندية ص335.

عنه العلم سماء الدين الملتاني وخلق آخرون، وكانت حلقاته في المسجد الحرام معروفة ومشهورة مات سنة 825هـ/ 1422م[131].

وكان لعلم أصول الفقه نصيبه من الاهتمام لدى علماء الهند الذين استقروا في بلاد الحرمين الشريفين، ومنهم أبو العز بن عطاء الله الهندي ووحيد بن أحمد بن ناصر البرهانبوري المشهور بالشيخ هكاري، كان يدرّس الفقه في المسجد الحرام ودرّس في المدينة وتولى وقفها وناب عن قاضيها وكانت له حلقات في القراءات والتفسير وأصول الفقه وعلم الحساب[132]. وساهم العلماء الهنود الذين استقروا في مكة المكرمة والمدينة المنورة في تعليم الأطفال فيما يعرف بالكتاتيب حيث كان تعليم الأطفال وتأديبهم معروفًا في مكة والمدينة على نطاق واسع زمن سلاطين المماليك، وكان يتم بالحرمين الشريفين تحت مآذنه وعند أبوابه[133]، ومن علماء الهند الذي أدّب الأطفال وعلّمهم المحب بن محمد الهندي الحنفي ت 729هـ/ 1387م[134]، كما برز مكي بن سليمان السلدابوري الهندي في تأديب الأطفال بمكة المكرمة[135].

كما ساهم علماء الهند في تدريس العلوم اللغوية والأدبية كالأدب والشعر والنحو والبلاغة حتى برز منهم: عبد الرحمن بن علي الكجراتي ووصف بأنه كان فصيحًا مفوّهًا[136]، ومنهم أحمد بن محمد بن الشهاب الهندي الحنفي ت 828هـ/ 1424م وكان عالمًا بالنحو والصرف والآداب والهندسة والحساب[137].

واشتغل بعض الهنود بنسخ الكتب في مكة المكرمة ومنهم: محمد بن محمد بن محمود السرهندي، ونجيب الدين الأكبر آبادي الذي كتب كثيرًا عن كتب العلم والفقه والحديث المتوفى سنة 790 هـ/ 1388م[138].

---

(131) رحمان علي مرحوم: تذكرة علماء الهند ص987.

(132) يونس السامراني: علماء الهند في شبه القارة الهندية العرب ص 291.

(133) رحمان علي مرحوم: تذكرة علماء الهند ص893.

(134) محمد جعفر حسين: بحر الأنساب ص381.

(135) السخاوي: وجيز الكلام 283/1.

(136) الفاسي: العقد الثمين 1/ 413، 414، 415.

(137) السخاوي: الضوء اللامع 159/2.

(138) السخاوي: التحفة اللطيفة 94/1.

وكان بعض الهنود يقومون ببيع الكتب بعد نسخها، ولهم خزائن كتب يرتادها الطلاب والعلماء للشراء منها، وامتلك محمد بن عمر الكجراتي خزانة كبيرة من الكتب عند باب الصفا ويذكر أنه كتب معظمها بخطه[139].

وقد لقي علماء الهند وملوكها وحكامها من المسلمين كل ترحيب من قبل سلاطين المماليك وولاتهم على مكة المكرمة، والمدينة المنورة فقدروهم واحترموهم وأغدقوا عليهم الأموال وشجعوهم؛ مما أدى إلى مجاورة الكثير منهم للحرم المكي والمسجد النبوي، وكان للعامة من الهنود دورًا في الحرمين الشريفين فأحد الهنود والبنائين مارسوا هذه المهنة في مكة المكرمة ومنهم حسين بن عمر الكالبوري ت 860هـ/ 1143م[140].

ومما ساعد في قوة وازدهار العلاقات العلمية وحدة العالم الإسلامي وسيطرة دولة المماليك على الطرق التجارية والبرية والبحرية التي كان يسلكها هؤلاء الملوك والعلماء والطلاب خلال رحلاتهم إلى بلاد الحرمين الشريفين وتشجيعهم للعلم والعلماء، وحرية الانتقال بين دول العالم الإسلامي.

الخاتمة

نتج عن هذا البحث مجموعة نقاط ومنها:

- أوضح البحث أهمية بلاد الهند، وكيفية فتحها وانتشار الإسلام فيها.
- بيّنت الدراسة دور الغزنويين في فتح الهند ونشر الإسلام فيها.
- أبرز البحث الدول التي ظهرت في الهند وتعاونت مع دولة المماليك في مصر والشام كالدولة الغورية وبني تغلق والدولة الخلجية في نشر العلم وتشجيع العلماء.
- أظهر البحث الدور الذي قام به ملوك الهند في بناء المدارس والأربطة والزوايا في مكة المكرمة والمدينة المنورة.
- كشفت الدراسة أن العلماء الهنود كغيرهم من علماء المسلمين كانوا يفدون إلى المسجدين الشريفين يتعلمون ويجاورون، وقد نبغ منهم العديد في كافة العلوم النقلية والعقلية.
- أبرز البحث أن بعض العلماء الهنود كانوا يتوارثون القضاء والفقه كأسرة أبي الضياء بل إنّ بعضهم تولى إمامة الحرم المكي.

---

(139) السخاوي: الضوء اللامع 188/3.

(140) الفاسي: العقد الثمين 511/1.

- أوضح البحث دور العلماء الهنود ذوي الأصول العربية في النهضة العلمية في بلاد الحجاز عصر سلاطين المماليك.
- يوصى الباحث بالاهتمام بتاريخ وحضارة المسلمين في الهند، فقد كان لبلاد الهند والسند والبنجاب (باكستان وبنجلاديش حاليًا) وكشمير، دور مهم في تاريخ وحضارة الإسلام.
- يوصى الباحث بالاهتمام بالعلم وتحمل كافة أعبائه كما فعل السابقون عندما أوقفوا الأوقاف على التعليم ومدارسه ومؤسساته فسادوا العالم واحترمهم الأعداء.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- **ابن أبي أعثم الكوفي**، كتاب الفتوح، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ت.
- **ابن أبي أصبيعة**، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1981م.
- **ابن أيبك الدودار**، كنز الدرر وجامع الغرر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1972م.
- **ابن الأثير**، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- **ابن تغري بردي**، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1971م.
- **ابن خلكان**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار إحياء التراث، بيروت، 2006م.
- **ابن حجر العسقلاني**، أنباء الغمر بأبناء العمر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1988م.
- **ابن حوقل**، صورة الأرض، ليدن، 1906م.
- **ابن الصلاح**، مقدمة بن الصلاح في الحديث، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
- **ابن الصيرفي**، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: د. حسن حبشي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1970م.
- **ابن العماد الحنبلي**، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدس، القاهرة، د.ت.
- **ابن فهد**، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: د. عبد الكريم علي بار، مكة المكرمة، 1919هـ.
- **ابن كثير**، البداية والنهاية، دار الحديث، القاهرة، 1411هـ.
- **الحميري**: الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، دار السراج، بيروت، 1980م
- **الإصطخري**، المسالك والممالك، ليدن، 1906م.
- **البلاذري**، فتوح البلدان، مكتبة الإيمان، القاهرة، 1993م.
- **البغدادي**، تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- **البكري**، معجم ما استعجم، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.
- **الذهبي**، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1411هـ.
- **السخاوي**: –الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1987م.

- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد وآخرون مؤسسة الرسالة، 1995م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- **السبكي**، طبقات الشافعية الكبرى، دار الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.
- **السمهودي**، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، 1987م.
- **السيوطي**، بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنجاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1971م.
- **الشهرزوري**، عوارف المعارف ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2008م
- **الطبري**، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977م.
- **العتبي**، تاريخ اليميني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.
- **الفاسي**، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، 1985م.
- **القلقشندي**، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1977م.
- **المسعودي**، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار صادر، بيروت، د.ت.
- مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر من السنن(صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1374هـ.
- **المقدسي**، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، 1906م.
- **المقريزي**، السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1326هـ.
- **النعيمي**، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسيني، مكتبة الأنوار، دمشق، 1980م.
- **ياقوت الحموي**، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.

ثانياً: المراجع:

- أبو المعالي المباركفوري، رجال السند والهند، في القرن السابع، دار الأنصار، القاهرة، د.ت.
- أحمد فؤاد الهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، دار النهضة المصرية، القاهرة 1971م.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، 1987م.
- حسن أحمد محمود، تاريخ الإسلام في آسيا بين الفتحين العربي والتركي، القاهرة، 1975م.
- رحمان علي صاحب، تذكرة علماء السند، حيدر أباد الركن، 1411م.
- رحمان علي مرحوم، تذكرة علماء الهند، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1950م.
- عبد المنعم النمر، المسلمون في الهند، دار بين قتيبه، القاهرة، 1971م.
- عصام عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1975م.
- محمد جعفر حسين، بحر الأنساب، حيدر أباد الركن، 1404هـ.
- محمد عبد العظيم أبو النصر، الدولة العباسية، مكتبة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م.
- الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، دار عين، القاهرة، 2002م.
- تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، مكتبة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م.
- محمد سعيد قاسم، معجم البلدان الهندية والسندية، دار الثقافة، القاهرة، 2015م.
- محمد محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، 1971م.
- منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم، الرياض، 1981م.
- نبيه ناقل، دولة بني أمية، دار بن خلدون، بيروت، 1997م.
- يونس الشيخ السامراني، علماء العرب في شبه القارة الهندية، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، د.ت.